

لا أحد يغني لليأس

خالد جمعة، فلسطين

لا يضحكون

يمرُّ الشهداء أمام النافذة
 "لا يضحكون كما قال لنا كتاب القراءة"
 تحملهم عصافيرُ حديثة الريشِ
 كم كانوا خفيفين، ومزاجيين جداً
 أما تلك الألوان الحمراء
 التي تتبعهم كذيل شهاب
 فلم تكن غير نظرات أمهاتهم
 معلقةً في الفراغ
 الفراغ الذي كان يغني أغنيةً مأساويةً
 حين خسر ضحكات المدينة
 - ولم توقفت المدينة عن الضحك؟
 - لأن الأعداء قَلَلوا عشاقها
 يا إلهي العظيم: دع السماء مكانها ليومين آخرين
 لا تنزلها متراً جديداً كلما قتلوا ولداً آخر
 فالمكان ضيقٌ كفاية
 والصدور كذلك.

دعاء الحرب

يا من أعطيت الإنسان القدرة على الكلام، وأريته كيف يزرع حنطته كي يأكل
يا من روضت له الخيول، ووهبته القدرة على دفن الموتى
يا من جعلت الرحمة في قلوب الوالدين، وعلمت الأطفال كيف يرضعون كلمات أمهاتهم
يا من رسمت الأقدار، واستراحت القبررات بين يديك، وأمنت الخشف على جلده في الغابة
أعد إلينا ضحكات الشجر وطمأنينة الليل.

أصنام

ما أعرفه من التاريخ
أن النبيّ والصحابّة
حطّموا الأصنام يوم الفتح
فمن أين جاءت كل هذه الأصنام إذن؟

زاوية فارغة

في أقصى الزاوية الفارغة من روحه
يجلس يعقوب النبي بعينين مبيضتين من الحزن
ويعدّ الذئاب التي تأكل أولاده
يعرفها من رائحة الدم على أنيابها
قال: ليتهم ألقوهم في البئر
لعل قافلة تمرّ
يعقوب يتنفس حزناً نبوياً
ولم يعد أحد بعد بقميص يوسف.

حقيقة

تقفُ الحقيقةُ على بقايا الجدار
تمضُ العلكةُ بغنجٍ فاحشٍ
وتصرخ: أيها المكفوفون، أنا هنا
وأولئك في الفضائيات
لسن بنات عمي
أنا وحيدة، لا أقرباء لي
فمن يتزوجني، يتزوجني وحدي
الحقيقةُ تلبسُ الأحمرَ في الفضاء الأبيض
لا شيء أكثر وضوحاً
أما الكثيراتُ اللواتي تتبعونهن
فهنَّ عاهراتٌ يقلدنهن
بعد أن قضينَ عمراً
في عيادات التجميل.

أبي

أبي لم يكن لديه مفتاحُ لبيته في "حتّا"
أمي لم تخرج بذهبٍ في صندوق
تركوا كلَّ شيء هناك
في ظلال الكينا التي تجاور البيت
عمي كان يعزفُ الأرغولَ في أفراح البلد
وهو الوحيد الذي خرجَ بشيء من هناك
لكنه أقسم ألا يضع شفتيه على فم الأرغول

إلا في القرية
مات عمِّي، مات أبي، ماتت أمي
وما زالت الكينا تنتظر
ولا أحد أخرج نعمةً من الأرغول
منذ ذلك اليوم.

تعالوا نخدع العالم

تعالوا نخدع العالم
وندِّي أن نوعاً نادراً من الغزلان
على وشك الانقراض
في بلادنا
ربما...

لا أحد يغنيّ لليأس

لا أحد يغنيّ لليأس
حتى حين يجلس معه على المائدة
لم أقرأ يوماً قصيدةً تصف عينيه
قدرته الهائلة على تناول الطعام معنا
على التكيف مع شكل جلستنا
لا أحد يعرف لون جلده
من كثرة أشكاله وأماكن نومه
الميتون وحدهم
من عبروا فوق جسده وتحرروا.

تعال لتفاوض

تعال لتفاوض

حول الولد الذي يقف في الوسط

دع خطك الجغرافي يدور حوله

كي لا تقتسمه المفاوضات

كما فعلت بأخته الصغرى.

عبد الرحمن

قلتُ:

سأصنع له مفاجأة في عيد ميلاده

عبد الرحمن لم يفرح كثيراً في حياته

حين خرج لبحث عن خبز لأخيه

أحضرت طحيناً قليلاً، وسكراً من جارتنا

وببضعة واحدة، ورشفة حليب أو أقل

صنعت له كعكة بحجم طائر دوري

على حطبٍ قديم

وانتظرتُ بابتسامةٍ على باب الخيمة

اليوم هو الثالث لخروجه

الكعكة بردت، ثم جفت

لم يعد عبد الرحمن بعد، ولا عيد ميلاده.

يا يسوع

يا يسوع

أنت الوحيد الذي رأى القيامة

فلماذا استأثرت بها وحدك؟

سيأتيك أولادٌ كثيرٌ

كأنهم آتون إلى مهرجان الأغاني

سيشكون إليك ما لا طاقة للأنبياء به

فلا تضجرك شكواهم

فهم ما زالوا أطفالاً

لا يعرفون عذابات الأنبياء

وليس فيهم أحد قد بلغ الأربعين

كما تعلم

أرجوك: لا تغير أسماءهم

حتى يعرفهم أبائهم وأمهاتهم

الذين ما زالوا يبحثون عنهم

في المكان الخطأ.

صورة

لا تصدق الصورة

فهناك عشرة فروق بينها وبين الحياة

1: الصورة باردة فيما الحياة من نار

2: الصورة ببعدين والحياة بألف

3: الصورة يمكن رؤيتها كثيراً، فيما الحياة لقطة وتمضي

4: الحياة تمشي فيما الصورة ثابتة

5: الصورة تخفي الحزن، فيما الحياة تنعفه في الطرقات

6: الصورة أنت، وأنت لست هي

7: أنت بلغة واحدة، والصورة بكل اللغات

8: لا يمكنك سماع الصورة، وفي الحياة ضوضاء

9: أنت تمضي في العمر، فيما الصورة لا تكبر

10: الصورة بكادر واحد، والحياة دائرة.

لا تنادي

لا تنادي: يا أبي

لا تصرخي: يا أمي

فهما مشغولان بصفقة مع الموت

أن يذهبا معه في رحلته تلك

على أن يتركك تبليغين رشدي

قالت أمك: أن تعيش يتيمة أفضل من أن تموت

قال أبوك: لكني لا أضمن الموت، فلا عهد له

قال حفار القبور: لا خيار لكما، فلم يفصل الموت أحد من قبل.

برد

حين يموت رضيع من البرد

في حضّانته

اعتبره خبراً عادياً

والمس جلدك بطرف إصبعك

لتعرف كيف أن درجة واحدة من الحرارة

درجة واحدة فقط، درجة يا أخي
كانت كفيلة بأن تبقيه حياً
طريّ هذا اللحم على صَلفِ الحديد.

أغنية تراثية

لا تستطيع المدينة أن تهرب
أو حتى أن تغير ملابسها
تقاوم رغبتها في الاستحمام
فالماء لا يكفي لكي يشرب الأولاد
لا تريد مرآة لترى شعرها المنكوش
فآخر ما تفكر فيه
هو شكلها في عين عشاقها
تنقب الآن حافيةً على بقايا أحببتها
في كل ثقبٍ ممكنٍ
حين يسألها أحد عن حالها
"أرملةٌ أزليةٌ" تقول
سمعتها الليلة تردد أغنيةً تراثيةً:
"يا ضيوفهم عالحيط باتوا
أهل الكرم والجود ماتوا
يا ضيوفهم عالحيط ضلّوا
أهل الكرم والجود ولّوا..."

أي سؤال هذا؟

هل يكبر الأولاد بعد أن يموتوا؟

أي سؤال هذا يا حبيبي؟

حتى لو كان هذا صحيحاً

أريدك أن تكبر حياً...

فعل

- ماذا تفعل كل هذا الوقت؟

- أخرج كلمة من فم ولد مات قبل أن يقولها

- وماذا كانت؟

- لا لغة تحتملها

- لماذا أخرجتها إذن؟

- خفت أن تذهب معه إلى الله فيقيم القيامة.

سيرة ذاتية

إلى عدي أبو محسن... الطفل الذي عاش يوماً واحداً

يومٌ واحدٌ

لم يكفِ حتى لخلق العالم

ونكتب هكذا:

سيرته الذاتية: ثم نطرقُ

ماذا سنكتب؟ حتى لو اخترعنا حكايةً

أية أفعالٍ يمكن أن نؤلفها ليومٍ واحد؟

نفتحُ ملفك الشخصي

نجدُ ورقةً وحيدةً بختمٍ حكوميّ: "شهادة وفاة"